ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Development of Islamic Sciences during the Golden Age:The Role of Scholars and Scientific centers in the Era of Ibn Zafar

Saad Hameed Ali

Tikrit University College of Arts

* *Corresponding author: E-mail* :
s.hameed@tu.edu.iq
٠٠٩٦٤٧٧٠٥١٥١٣٣٦

***Keywords*:**
Islamic sciences
the golden age
the role of scholars
scientific centers in Andalusia.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 25 May 2025
Available online 30 May 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The Islamic civilization has made great achievements in the development of science, and although it has benefited from previous civilizations, it has contributed greatly to the development of these sciences in a way that no other civilization has preceded. This is evidenced by the rich scientific heritage that has reached us, which indicates progress and prosperity in various branches of science and knowledge. The translation movement carried out by Islamic scholars in the first centuries played a pivotal role in the advancement of science, especially medical science, as it contributed to many knowledge. Thanks to these efforts, Islamic sciences became, in later stages, one of the most prominent levels of progress and development. Although it benefited from previous civilizations, it contributed greatly to the development of these sciences in a way that no other civilization had preceded it. This is evidenced by the rich scientific heritage that has reached us.

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.5.2.2025.13

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

تطور العلوم الإسلامية خلال العصر الذهبي (دور العلماء والمراكز العلمية في عصر ابن ظفر)

سعد حميد علي/ جامعة تكريت/ كلية الآداب

الخلاصة:

قد أنجزت الحضارة الإسلامية إنجازات عظيمة في تطور العلوم، ورغم أنها استفادت من الحضارات السابقة، إلا أنها ساهمت بشكل كبير في تطوير هذه العلوم بصورة لم تسبقها إليها أي حضارة أخرى. هذا ما تشهد عليه التراث العلمي الزاخر الذي وصل إلينا، والذي يدل على التقدم والازدهار في مختلف فروع العلم والمعرفة. كما أن حركا الترجمة التي قام بها علماء الإسلام في القرون الأولى لعبت دوراً محورياً في تقدم العلوم، وخاصة العلوم الطبية، حيث كان لها اسهام في العديد من المعارف، بفضل هذه الجهود صارت علوم الإسلام في مراحل لاحقة من أبرز مراتب التقدم والتطور. ورغم أنها استفادت من الحضارات

السابقة، إلا أنها ساهمت بشكل كبير في تطوير هذه العلوم بصورة لم تسبقها إليها أي حضارة أخرى. هذا ما تشهد عليه التراث العلمي الزاخر الذي وصل إلينا.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية– العصر الذهبي– دور العلماء والمراكز العلمية بالأندلس.

المقدمة

العلم والتقنية جزء لا يتجزأ من التاريخ الإنساني، ولا ريب أن أعمال علماء الإسلام في تقدم العلوم الإنسانية كانت كبيرة ومعترف بها من قبل علماء الغرب المستشرقين. إن الأمانة في التاريخ العلمي تقتضي تتبع مراحل تطور العلوم منذ نشأتها، مروراً بمراحل تطورها المختلفة، حتى نتمكن من فهم دور وإسهامات الحضارات المتعددة في تطور العلوم وتقدمها. لقد أنجزت الحضارة الإسلامية إنجازات عظيمة في تطور العلوم. (اسماعيل، ٢٠٢١، ص ٣٦) فلذلك يمثل العصر الذهبي الإسلامي فجر العلم والثقافة في العالم الإسلامي، فيشار إليه بأنه تلك الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر الميلادي، فتتسم هذه الفترة بما شهدته من تطور على مستوى كافة العلوم والثقافة والفنون في العالم الإسلامي، حيث يعد هذه الفترة جديرة بالاهتمام، حيث وصل الإنتاج الحضاري للإمبراطورية الإسلامية أقصاه، ثم مع اجتياح المغول وتوتر الأوضاع السياسية والاقتصادية حدث الانهيار، وخلال العصر الذهبي للإسلام قد تم فتح العديد من الفتوحات فقد امتدت رقعة الإسلام من أطراف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي. (غنيمة، ١٩٩٩، ص ١٣٣)

حيث شهد تلك العصر تحول على مستوي كافة العلوم الإسلامية، كما يقول الدكتور " لين بول" بأن ما يسمي بالعصر الذهبي للثقافة العربية، استغرق ما يقارب الخمس قرون، حيث أمتد إلى كل مكان من الحدود الشرقية لفارس حتي اسبانيا والمحيط الاطلسي، حتي أصبح بدو الصحراء سادة على العديد الممتلكات التي كانت من قبل تحت أمرة قيصر وكسري، فكانت على تلك الشعوب ذات اللغات والديانات والثقافات المختلفة، التي أشربت أفكار الفلاسفة والشعراء الاغريق وتدريبهم على مبادئ القانون الروماني العظيمة. (عبد الهادي، (١٩٩٣، ص ٢٠٠)، مما يدل ذلك على التقدم والازدهار في مختلف فروع العلم والمعرفة. كما أن حركا الترجمة التي قام بها علماء الإسلام في القرون الأولي لعبت دوراً محورياً في تقدم العلوم، وخاصة العلوم الطبية، حيث كان لها اسهام في العديد من المعارف، بفضل هذه الجهود، صارت علوم الإسلام في مراحل لاحقة من أبرز مراتب التقدم والتطور.

مشكلة البحث:

حمل العالم الإسلامي ولغته شعلة العلم خلال العصور القديمة، فخلال الفترة ما بين القرنين الثامن والرابع عشر، عاشت بلاد الإسلام عصرا ذهبياً ازدهرت خلاله العلوم والمعارف، حيث نجح علماء من بلاد المسلمين في طرح مدخل تجريبيّ رصين للعلوم أرسَى قواعد المنهج العلميّ الحديث، وحوّلوا خرافة الخيمياء أيْ صناعة الكيمياء إلى علم مستقلّ هو الكيمياء. فلا يمكن إنكار فضل المسلمين في تطور

العلوم الإسلامية، فقد أثرت حركة الترجمة الهائلة التي قام بها المسلمون في العصر العباسي لترجمة علوم الإغريق وكتبهم. فقد ميز علماء المسلمين بين العلوم النقلية وهي علوم العقيدة والشريعة الإسلامية والعلوم العقلية وهي الفلسفة والرياضيات والهندسة والجبر والفلك والطب والطبيعية والكيمياء والموسيقى والتاريخ والجغرافيا (مرسي، ٢٠٠٥، ص ٢٠٠) ولذلك يسعى ذلك البحث في التعرف على دور العلماء والمراكز العلمية بالأندلس على تطور العلوم الإسلامية خلال العصر الذهبي.

هدف البحث :

يهدف هذا البحث في معرفة دور العلماء والمراكز العلمية بالأندلس على تطور العلوم الإسلامية خلال العصر الذهبي. وحتي يحقق البحث الهدف منه يتم التعرف عليه من خلال مبحثين:

- المبحث الاول :أسباب ازدهار الحركة العلمية في الأندلس في عصر ابن ظفر.
- المبحث الثاني : إعلام الحركة العلمية بالأندلس في عصر ابن ظفر.

المبحث الأول: أسباب ازدهار الحركة العلمية في الأندلس في عصر ابن ظفر.

يذكر البعض من المؤرخين المعاصرين بأن العصر الذهبي للإسلام يمتد حتي القرن السادس عشر الميلادي، إلا أن الإنتاج العلمي باللغة العربية لم يتوقف حتي الآن، حيث تم إنشاء بيت الحكمة التي أقامها المأمون في بغداد، بهدف ترجمة كُل معارف العالم القديم للعربية. كلمة "كُل" تعني حرفيًا كُل شيء. كانت المعارف تُترجم من مصادرها الأصلية رأسًا إلى اللُغة العربية، فالخلفية المأمون حر الرأي واسع الأفق في تفكيره، حيث جلب على حب البحث والتأمل النظري. (عبد الهادي، ١٩٩٣، ص ٢٠١). فقد امتدت دولة الإسلام من حدود الصين إلى جنوب فرنسا، ورافق حركة الفتوحات الإسلامية استفادة العرب من فلسفة اليونان، ومن ثقافة الصين والهند، مع ما عندهم في ملامح فكرية عربية أصيلة فهضموا هذه الحضارات المختلفة وتولوها بالرعاية والبحث والتصحيح والتهذيب.

ولذلك يمكن القول بأن الإسلام كان خطوة تقدم هامة في التخفيف عن عاتق الشعوب في الكثير من القيود والظلمات التي فرضتها، بالإضافة إلى إحياء العلوم والآداب والفنون في حركة من حركات أهل العلم. (غنيمة،١٩٩٩، ص ١٣٣)

في القرن السادس الهجري، كانت حواضر الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية تتنافس مع أعظم المراكز العلمية في الشرق الإسلامي، مثل بغداد ودمشق. بل يمكن القول إن الأندلس برمتها تفوقت على كل بلد من بلدان العالم الإسلامي على حدة من حيث ازدهار الحركة العلمية فيها. لدينا الكثير من الأدلة على هذا الادعاء، منها كثرة المؤلفات العلمية في مختلف فروع المعرفة التي ظهرت في ذلك القرن، سواء في التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والنحو، والأدب، والطب، والفلسفة وغيرها (الشيخاني،٢٠٢٢، ص ٣). هذه المؤلفات ليست كثيرة فقط، بل هي ذات نوعية متميزة، ومصاغة بدقة وجودة عالية، ولا تزال تعتبر مرجعاً للدراسة العلمية في كل عصر ومكان حتى يومنا هذا. من بين هذه الأعمال نذكر "المحرر

الوجيز" لابن عطية في التفسير، و"البيان والتحصيل" لأبن رشد الجد في الفقه، و"المسالك في شرح موطأ مالك" لابن العربي في فقه الحديث، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض في السيرة، وغيرهما في مختلف المجالات. فلذلك قامت الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية على أسس قويمة تقرأ فيها، فالمقومات العلمية بكل آفاقها وأحوالها وأعماقها، الشامخة المتميزة المتفردة في الحضارة الإسلامية.

أسباب ازدهار الحركة العلمية بالأندلس في القرن السادس الهجري:

استوقفني هذا الازدهار الباهر، والمد الزاخر، في الحياة العلمية للعدوة الشمالية للمغرب الإسلامي، من أجل الوقوف على بعض الأسباب المفضية إليه، على قدر يتحمله هذا المقام، ويمكن إجمالها فيما يلي:

النهضة العلمية في عهد المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر المرواني (٣٦٦ هـ):

فقد دخلت الأندلس بعد توليها من قبل عبد الرحمن الناصر (٣٠٠/ ٣٥٠ هـ) وإعلانه الخلافة في عام (٣١٦) ، فقد شهدت مرحلة جديدة وعهداً حافلاً من أتقدم على كافة المجالات، وخصوصاً في المجال الفكري، الذي شهد رعاية من قبل الخليفة وولي العهد المستنصر (ت ٣٦٦ هـ) حيث حمل على عاتقه لواء النهوض بالحركة العلمية في الأندلس، خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الفلسفية، حتي أضحت الأندلس – فترة الإمارة– الأموية منارة من منارات العلم والمعرفة ,ممّا كان لذلك أكبر الأثر في تحقيق التقدم الفكريّ والرّقيّ الحضاري, وذلك يعود إلى رعاية الأمراء الأمويّين للحركة العلمية , وتشجيعهم للعلم والعلماء, إضافة إلى أنّ الرّحلات العلمية وما نتج عنها من تبادل ثقافيّ واسع كان له تأثير كبير على تقدم البلاد. (حجار، ٢٠٢٣، ص١١٣٩) حيث اهتم الأمويون في الأندلس بالعلم اهتمامًا كبيرًا، حيث كانوا يأخذون منه نصيبًا وافرًا، ويشجعون على طلبه من خلال تخصيص الأعطيات للمدرسين من الفقهاء والمحدثين والأدباء، والفلكيين، والأطباء، وغيرهم.

كان الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر معروفًا بحسن سيرته وعدله، واهتمامه الكبير بالعلوم. كان مشغوفًا باقتناء الكتب، ويرسل المبعوثين إلى الأقطار والبلدان لجلبها، ويبذل أثمانًا باهظة للحصول على الدواوين والدفاتر النادرة. بفضل هذا الجهد، تم جلب الكتب من كل جهة، حتى امتلأت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه، وعرفت مكتبته بـ"الأموية"، وجمعت عددًا هائلًا من الكتب التي لا تقدر بثمن من حيث الكثرة والنفاسة. قيل إن محتوياتها بلغت أربعمائة ألف مجلد. وقد أورد نصًا جميلاً للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي (١٨٨٣ م) يوضح فيه جانبًا من النهضة العلمية في عهد المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن: "كان التعليم العام في عهد الحكم يشهد نهضة عظيمة، وكان أبناء الشعب جميعًا يعرفون القراءة والكتابة، بينما كان أرفع الناس مكانة في أوروبا – باستثناء رجال الدين – لا يعرفون القراءة والكتابة. (بابن عساكر، ١١٩٩، ص٢٨٠)

أسس الحكم عددًا كبيرًا من المدارس التي يتعلم فيها الفقراء مجانًا. أما جامعة قرطبة، فقد كانت يومئذ من أشهر جامعات العالم، وكان مركزها في المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها مختلف العلوم. وكان عدد الطلبة يعد بالآلاف".

وبناء على ذلك يمكن القول بأن للنهضة العلمية التي استنهضها المستنصر بالله أثر بالغ في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس، حتى في أوقات ضعفها ووهنها السياسي. فقد أرسى ثقافة في المجتمع الأندلسي تحب العلم وتكرم أهله، وتشجع على نشره وطلبه، وإنشاء المكتبات. "وكانت توجد في قواعد الأندلس الأخرى، عدا مكتبة قرطبة العظيمة، زهاء سبعين مكتبة أخرى.

إضافة إلى ذلك، كان عامة أهل الأندلس يتنافسون في اقتناء الكتب والدواوين وتأثيث مكتباتهم الخاصة بها، وكان في قرطبة سوق رائج لتجارة الكتب." تم تكريس سلطان العلم وعظمة العلماء منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس. فقد عمل العرب بعد انتهاء فتوحاتهم في شبه جزيرة أيبيريا على صبغ هذه البلاد بالصبغة العربية. وانصرفوا بعد فتح الأندلس إلى الاهتمام بالعلوم والآداب والفنون.

كان المجتمع الأندلسي مجتمعًا مسلمًا نشأ محبًا للعلم وأهله، وفطر أبناؤه على ذلك، إذ إن العلم فرض في العقيدة الإسلامية على كل مسلم ومسلمة. لا يمكن أن يكون المسلم غير متعلم أو مثقف، وكانت محبة العلم قيمة عامة يقدرها الناس ويحثون عليها.(الضبي، ١٩٦٧، ص ٣٠٥) فقد اهتم الاندلسيون بالعلم ونشره، منذ اللحظة الأولي التي وطأ فيها المسلمين أرض شبة الجزيرة الإيبراليه، ومنذ الأيام الأولي التي اعقبت تأسيس الإمارة الأموية. وقد عني الاندلسيون بتعليم أنفسهم وأبنائهم، كما حرصوا على مكافحة الجهل والتخلف والبطالة (فايزي، ٢٠١٥، ص ١٠١)

حيث كان العلم فريضة على كل أندلسي، أميرًا كان أو مأمورًا. لذلك، لم يعتل عرش الأندلس، ولم يتولَّ أمر ناحية منها في أوقات التفتت، إلا أمير أو ملك له مشاركة فعّالة في علوم زمانه الدينية والدنيوية. كان العلم شرطًا لتوليهم المناصب، وقد وضع الكثير منهم في مصاف العلماء الكبار الذين لهم مؤلفات أو تقيم العلماء لآرائهم وزنًا في مختلف الميادين. وأصبحت الأندلس في مقدمة البلاد التي كان لها أثر رائع في حضارة العلوم. كان الأندلسيون يسارعون في اكتساب المعارف والعلوم المختلفة، وأهم العلوم التي كانوا يقبلون عليها تشمل الفقه والحديث وعلم الأصول والقراءات والنحو وعلوم اللغة.

تميز الأندلسيون بسرعة كبيرة في تلقف علوم العالم القديم، مثل الفلسفة والتاريخ والحساب والجبر والهندسة والفلك والعلوم الطبيعية. ظهر في الأندلس عدد لا حصر له من العلماء والأطباء والنباتيين والفلاسفة والمتخصصين في مختلف أنواع العلوم. وقد طبع الفكر الإسلامي أهالي هذه البلاد بطابعه الخاص، مما ساهم في ازدهار الحضارة العلمية في الأندلس.

وترجم الأندلسيون كتب اليونان واللاتين، فكان لهم من ذلك حظ لا يقل كثيراً عن حظ خلفاء العباسيين في الشرق. وتفردوا خاصة بعلم النبات، نشروه في مدارس لهم كثيرة، منها مدارس قرطبة وطُلَيْطلة وإشبيلية. (ابن عساكر، ١١٩٩، ص ٥٤)

كانت عناية أهل الأندلس بنشر العلم تفوق كل ما يتصوره العقل البشري؛ فعندما كانوا يفتحون بلداً أو مدينة، كانوا يبادرون بإنشاء مسجد ومدرسة، معتبرين أن نشر الدين والعلم ضروري لتهذيب الأمم وتثقيفها. انتشرت المدارس في مدن الأندلس ومعظم قراها، بينما كانت المدارس الكبرى التي يمكن تسميتها بالجامعات موزعة على بعض المدن الأندلسية، في مقدمتها قرطبة وإشبيلية والمرية وغرناطة. كما جعلوا المساجد أماكن للعبادة وجامعات للعلم، فكانت مركز الإشعاع الأول لحضارتهم (السيوطي، ١٣٩٦، ص ٤٥١). كان الأندلسيون يتمتعون بميل ورغبة شديدة نحو العلم والمعرفة. وكان الشخص ينفق كل ما لديه من مال لتعلم العلم، ومتى برز في العلم نال مقام التكريم والإجلال، وأشار الناس إليه بالبنان، وارتفع قدره وذاع صيته بين الخاصة والعامة.

وفاض نور العلم على الرجال والنساء، كما ذكر المقري أن الأندلسيون كانوا يدفعون الأجرة في سبيل تعلم العلوم، ويبدو أن الأجرة التي كانوا يدفعوها الراغبون في التعلم، لم تكن مبلغ من المال فقط، بل كانوا يقدموا العطايا والهدايا العينية للشيوخ وأكرامه في شراء حاجة له، حيث كان العالم له هيبته ووقاره في الأمور العامة والخاصة. (المقري، ١٩٦٨، ص ٢٢٠- ٢٢١)

عناية المرابطين بالفقهاء، ونشر العلم.

دخل ابن تاشفين الأندلس بدعوة من الفقهاء في سنة ٤٨٣ هـ ليوحدها، ويقضي على ملوك الطوائف، فكان له ما أراد، ووجدها بحرا زاخرا بالعلم، وروضة آهلة بالعلماء في مختلف صنوف المعرفة، وثقافة رائجة أرساها الأمويون في حب العلم وخدمته، ووجد أن كفة الأدباء والشعراء راجحة على كفة الفقهاء، فبدأت في عهده ترجح كفة أهل الفقه؛ لأنه كان معظما لهم، قال الذهبي: " كان ابن تاشفين كثير العفو، مقربا للعلماء"

ولما ولي بعده ابنه على بن تاشفين سار على خطة أبيه في تعظيم الفقهاء وتبجيلهم، وتقريبهم إليه، وتمكينهم في البث في أمور الدولة، قال عبد الواحد المراكشي عنه" :واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمرًا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء؛ فكان إذا ولى أحدًا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرًا ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء. فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغًا عظيمًا لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس"(قَايْماز الذهبي،، ١٩٨٥، ص ١٢٢)

وكان من شأن صنيع ابن تاشفين وابنه أن كثرت مجالس تدريس الفقه، فغصت المساجد في كل أنحاء الأندلس بمجالس الفقهاء، وأقبل طلبة العلم عليهم، كما انتشرت التصانيف في الفروع انتشارا عظيما، فازدهرت الحركة العلمية في عهديهما بسبب ذلك ازدهارا كبيرا.

عناية الأندلسيين بتعليم وتدريس أبنائهم :

لم يكن في الأندلس من لا يعرف القراءة والكتابة كما سبق ذكره في النص الذي أوردته عن المستشرق الهولندي دروزي؛ لأن الأندلسيين كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم وتدريسهم، وكانوا يتخذون لأبنائهم مدرسين في مختلف العلوم والفنون مقابل أجر على ذلك، وها هو القاضي أبو بكر ابن العربي يحكي ذلك عنه نفسه، حيث قال" :وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي رحمه الله معلمًا لكتاب الله، حتى حذقت القرآن في العام التاسع، ثم قَرَنَ بي ثلاثةً من المعلمين، أحدهم هو لضبط القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله فيه، وَنَبَّهَ الصادق صلى الله عليه وسلم عليها في قوله: "أُنْزِلَ القرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أحْرفٍ" في تفصيل فيها، والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحُسْبَانِ. (السليماني، ١٩٨٦، ص ١٣٠) ومن لم يكن قادرا على اتخاذ المدرسين لأبنائه؛ فكان يلحقهم بالمدارس التي يجرى عليها من الوقف، وكان الخليفة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الأموي بنى في قرطبة وحدها وأرباضها سبعة وعشرين كُتابا، يقول ابن عذارى (٦٤٥ هـ) عنه" :ومن مستحسنات أفعاله وطيبات أعماله، اتخاذه أهل الأدب في تعليم الأطفال الفقراء كتاب الله بالمسجد، وفي بلدان قرطبة ، وإعطاء المال على ذلك، وطلب وجه الله ، وبلغ المكاتب ٢٧ مكتب، منها المسجد الجامع وبالمدينة مساجد أخرى.".

ولعل هذا الأمر يفسر كثرة العلماء في الأندلس من أهلها مقارنة بغيرها من البلدان في هذه الفترة؛ حيث إنه لا يدانيها في ذلك بلد من بلدان الإسلام. حيث مجد الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب حتي كانت لهم الريادة في المجتمع الأندلسي. (فايزي، ٢٠١٥ ، ص ١٠٩)

عناية علماء الأندلس بالرحلة في طلب العلم .

ارتبطت الرحلة عند الأندلسيين بأداء فريضة الحج، فكانوا عندما يخرجون للحج، يستغلون الفرصة لطلب العلم في مختلف البلدان. كانوا يمرون بإفريقية والقيروان، ومصر، وبيت المقدس، ودمشق، وبغداد، ومكة، والمدينة. وربما تجاوزوا النهر ليأخذوا عن علماء أصبهان وخراسان وغيرها. كانوا يظلون في ذلك السنوات الطوال حتى يجمعوا علم المشرق إلى علم المغرب، مما يمنحهم الرياسة في الأندلس. من أبرز هؤلاء العلماء في هذا العصر أبو بكر ابن العربي، الذي ظل مع والده أكثر من إحدى عشرة سنة في طلب العلم. حيث كانت هذه الرحلات العلمية سبباً رئيسياً في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس؛ إذ كانت توسع مدارك الأندلسيين، وتنوع معارفهم، وتجعلهم يستفيدون من علوم أهل المشرق. كما كانوا يعودون من رحلاتهم محملين بالكتب النفيسة، مما أسهم في إثراء المكتبات الأندلسية وتعزيز المعرفة العلمية والثقافية في المنطقة. (السليماني، ١٩٨٦، ص ١٥١)

العلوم العربية في عصرها الذهبي:

علم الرياضية:

خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن الثامن الميلادي، خلال المائة والخمسين سنة الأولي من الإسلام، كانت الرياضيات المعمول بها في الإمبراطورية الجديدة، حيث تتمثل أساساً في المهارات الهندسية والحسابية التي تساعد على حل المشكلات، فالهندسة كانت تستعمل في تقنيات القياس. فيعد من أوائل الذين برزوا في هذه العلوم العلامة محمد بن الليث(ت ٤٠٥/ ١٠١٤) الذي كان متمكناً في الفلك والرياضيات، بالإضافة إلى ممارسته مهنة القضاء، فهناك ارتباط بين العلوم الرياضية والفلكية، لأن جل العلماء تجدهم فلكيون ورياضيون في الوقت نفسه (نجادي، ٢٠١٦، ص ٢٥٠) . فكان للعلوم أثرها الإيجابي في تطور هذه اللغة، حيث كان الأندلسيون الذين رحلوا إلى المشرق اكتسبوا قدر لا بأس به من العلوم والمعارف من العلماء المشارقة فرجعوا إلى نشرها وتدريبها لتلاميذهم. ولعل من أمثلة المؤلفات الرياضية والفلكية السابقة على مجئ الإسلام، النسخة السريانية لكتاب الأصول لأفليدس الذي وصلت إلينا قطع منها، ونذكر أن الترجمات الأولي للأعمال الرياضية تعود لزمن الخليفة المنصور، وكتاب الأصول لإقليدس. (جبار أحمد، ٢٠٢١، ص ٣٤)

علم الطب:

فالطب موجود منذ مجئ الإسلام، أي قبل منتصف القرن السابع الميلادي، حيث كانت تتم مزاولته من قبل الطوائف المسيحية والسريانية والفارسية التي حافظت على تعليم هذا المجال بلغاتها الخاصة، ان الاندلس مثل ذلك كانت تعتمد في الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الابريشم، وكان قوم من النصارى يتطببون، ولم تكن لهم دراية بصناعة الطب، كان اطباء الاندلس يجمعون شتى العلوم، وقد ساعدهم على ذلك خصوصا المامهم باللغة العربية في المضي قدما بعلم الطب في الاندلس ولقد حققت هذه النقلة العلمية في علم الطب على يد الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) .

المبحث الثاني: أعلام الحركة العلمية بالأندلس في عصر ابن ظفر.

كان من مظاهر هذه الحركة العلمية المباركة بروز جلة من الأئمة والعلماء في مختلف العلوم، وأذكر منه على سبيل التمثيل:

ومن الذين بلغوا الإمامة، وحازوا قصب السبق في كل العلوم والفنون:

أبو بكر ابن العربي المعافري (٥٤٣ هـ)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري: من أهل إشبيلية؛ يكنى: أبا بكر. ولد ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستّين وأربعمائة، وسمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن بن عمر بن الحسن الهوزنيّ، وأبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله السرقسطيّ.

رحل مع أبيه إلى المشرق سنة خمس وثمانين وأربع مائة. ودخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده، ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين. (ابن عساكر، ١٩٩٥، ص ٢٢١)
دخل بغداد وسمع من أبي الصيرفي، ومن الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزيبقي، ومن أبي بكر بن طرخان وغيرهم. ثم رحل إلى الحجاز وحج في موسم سنة تسع وثمانين، وسمع في مكة من أبي علي الحسين بن علي الطبري وغيره. بعد ذلك، عاد إلى بغداد مرة أخرى وصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الطوسي وغيرهما من العلماء والأدباء، فدرس على أيديهم وتعلم منهم. (ابن عساكر، ١٩٩٥، ص ٢٢٨)

ثم غادر بغداد متوجهاً إلى مصر، حيث التقى بجماعة من المحدثين في القاهرة والإسكندرية، فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم. بعد ذلك، عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، ووصل إلى إشبيلية محملاً بكمية كبيرة من العلم لم يسبق أن جلبها أحد قبله من رحلاته إلى المشرق، وولي ببلده القضاء، ثم صرف عنه، وأقبل على نشر العلم وبثه، وتوفي رحمه الله بالعدوة، ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة.

وأخذ عنه خلق كثير على رأسهم القاضي عياض، وابن بشكوال، والحسن بن علي القرطبي، وأبو القاسم السهيلي. وصنف تواليف كثيرة، منها" :أحكام القرآن" و"أنوار الفجر"، وهو كتاب ضخم في التفسير، و"الناسخ والمنسوخ"، و"قانون التأويل"، و"القبس في شرح موطأ مالك بن أنس"، و"عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي" السيوطي، ١٣٩٦، ص ٣٥٦)

قال عنه تلميذه ابن بشكوال " :الإمام العالم، الحافظ، المستبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظه، وكان رحمه الله إماما في التفسير ألف فيه "أحكام القرآن "خصه بتفسير آيات الأحكام، و"أنوار الفجر في تفسير القرآن"، ذكر أنه ألفه في عشرين سنة، في ثمانين ألف ورقة، ولم يصلنا منه شيء، وله في علوم المتعلقة بالتفسير كتابا "الناسخ والمنسوخ"، "قانون التأويل.(السليماني، ١٩٨٦، ص ١٦٦)

عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤ هـ):

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي، السبتي، المالكي، ولد بسبتة سنة ٤٧٦ هـ، وأخذ عن شيوخها، ثم رحل في أوائل الخمسمائة في طلب علم إلى قرطبة، وأخذ عن مشايخها، وولي قضاء سبتة وغرناطة.

قال فيه الضبي" :فقيه محدث عارف أديب له تواليف".(أبو جعفر الظبي، ١٩٦٧، ص ٢٠٣)". وقال القفطي " :إمام عالم، فاضل، كامل، مصنّف". وقال الذهبي " :الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام""(الذهبي، ١٩٨٥، ص ١٠٩)

وذكره الداوودي في طبقاته وقال" : كان القاضي أبو الفضل عالم زمانه في الحديث، والتفسير والفقه والأصول والنحو واللغة، ولغة العرب والنسب، كما كان بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، وعالما بفقه مالك، شاعرا مجيدا، ريانا من علم الأدب، خطيبا بليغا

وتوفي رحمه الله بمراكش وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وأما التفسير في هذه الفترة، فقد برز فيه مفسرون كثر إضافة إلى ابن العربي المعافري:

أبو الحكم ابن بَرَّجَان الصوفي (٥٣٢ هـ)

هو عبد السّلام بن عبد الرحمن بْنُ أَبِي الرِّجَالِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أبو الحَكَم اللَّخْميّ، الإفريقيّ، المغربيّ، ثمّ الإشبيلي، الصُّوفيّ، العارف، المعروف بابن بَرَّجان.

قال فيه ابن الأبار " :وكان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة وله تواليف مفيدة منها كتاب في تفسير القرآن لم يكمله وكتاب شرح أسماء الله الحسنى.[١]" توفي بمراكش سنة ست وثلاثين وخمسمائة للهجرة. (الصفدي، ٢٠٠٠، ص ٨٦)

أبو محمد ابن عطية الغرناطي (542)هـ

هو أبو محمد، عبد الحق بن غالب، بن عبد الرحمن، بن غالب، بن تمام، ابن عطية المحاربي، الغرناطي، الأندلسي، ولد سنة (٤٨١ هـ)، وروى عن أبيه، وأبي علي الغساني (498)هـ، وولي القضاء للملثمين بألمرية سنة (٥٢٩ هـ). (الأدنه وي١٩٩٧، ص ٣٦٦)

قال فيه ابن الأبار " :أحد رجالات الأندلس الجامعين إلى الفقه والحديث والتفسير والأدب وبيته عريق في العلم ...وتأليفه في التفسير جليل الفائدة، كتبه الناس كثيرا،(ابن البار، ٢٠٠٠، ص ١٥٢) ، وسمعوا منه وأخذوا ع وقال الذهبي " :الإمام الكبير، قُدْوة المفسّرين وتوفي سنة ٥٤٢ هـ، وقيل سنة ٥٤١ هـ . (الذهبي، ١٩٨٥، ص ٩٣)

وبرز في علم القراءات جمهرة من القراء، وانتهت الرياسة فيهم في العصر إلى:

أبي جعفر ابن الباذش المقرئ (542)هـ

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد، بن خلف، بن محمد الأنصاري، المعروف بابن الباذش، ولد بغرناطة سنة ٤٩١ هـ، وأخذ عن أبيه أبي الحسن، وأبي عليّ الصَّدفّي، وابن عَتّاب.

قال فيه ابن الجزري" :أستاذ كبير، وإمام محقق محدث ثقة مفنن، ألف كتاب الإقناع في السبع من أحسن الكتب، ولكنه ما يخلو من أوهام نبهت عليها في كتابي الإعلام، وألف كتاب "الطرق المتداولة في القراءات" حرر أسانيده وطرقه ولم يكمله لمفاجأة الموت. "(العسقلاني، ٢٠٠٢، ص ٨٨)

قال فيه القاضي أبو محمد ابن عطية :إمام في المقرئين، ومقدّم في جهابذة الأستاذين، راوية، مكثر، متفنّن في علوم القراءة، مستبحر، عارف بالأدب والإعراب، بصير بالأسانيد، نقّاد لها، مميّز لشاذّها من معروفها. (الفيروز ابادي، ٢٠٠٠، ص ٧٨٧)

[١] التكملة لكتاب الصلة (٢١/٣).

قال ابن الزّبير" :وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعلمي، أحسن انقيادا لطرق القراءة، ولا أجلّ اختيارا منه، لا يكاد أحد من أهل زمانه، ولا ممّن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك. وتوفي رحمه الله سنة ٥٤٢ هـ، وقيل سنة ٥٤٠ هـ. (البغدادي، ١٩٩٠، ص ٣٣٨)

وأما علم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد برز فيه بعد الخمسمائة، إلى جانب ابن عطية المفسر، وأبي بكر ابن العربي، والقاضي عياض، المذكورين آنفا، جماعة على رأسهم:

أبو علي الصفدي (٥١٤ هـ)

هو أبو علي، الحسين بن محمد بن فِيْرُّه بن حَيُّون، الصَّدَفي، السَّرَقُسْطي، الأَنْدَلُسي، المعروف بابن سكرة القاضي، ولد بسرقسطة نحو ٤٥٤ هـ، وأخذ في الأندلس عن أبي الوليد الباجي (٤٧٤ هـ)، ورحل إلى المشرق سنة ٤٨١ هـ، فلقي أبا عبد الله الطبري، وأبا بكر الطرطوشي، وتفقه على أبي بكر الشاشي، وسمع من جماعة، ورجع إلى الأندلس سنة ٤٩٠ هـ بعلم كثير، واستوطن مرسية، قال ابن بشكوال "وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان إليه وكثر سماعهم عليه.

كان عالماً بارعاً في الحديث وطرقه، متقناً لعلله وأسماء رجاله ونقلته، مميزاً بين المعدلين والمجرحين. كان حسن الخط، جيد الضبط، وقد كتب بيده الكثير من العلم وقيده بدقة. كان حافظاً لمصنفات الحديث، قائماً عليها، ذاكراً لمتونها وأسانيدها ورواتها. كتب بخطه صحيح البخاري في سفر، وصحيح مسلم في سفر آخر، وكان قائماً على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي. (الصفدي، ٢٠٠٠، ص ١٧٤)

كان فاضلاً، ديناً، متواضعاً، حليماً، وقوراً، عاملاً عالماً. تولى القضاء في مرسية ثم استعفى عن القضاء فتم إعفاؤه، وأقبل على نشر العلم وبثه. كتب إلينا بإجازة ما رواه بخطه في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وهو أجل من كتب إلينا من شيوخنا ممن لم ألقه". واستشهد في وقعة قتندة بثغر الأندلس لست بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمس مئة.

وأما الفقه فهو الميدان الذي تنافس فيه الأندلسيون، وكل المذكورين آنفا عدا ابن الباذش، كانوا فرسانه في الأندلس وأئمته، غير أن فقيهها غير المدافع في هذه الفترة هو: (رياض، ٢٠١٣، ص ١٧)

ابن رشد الجد (٥٢٠ هـ)

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، أبي الوليد القرطبي المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة، ولد سنة ٥٤٠ هـ، وتفقه على ابن رزق وغيره، وروا عن أبي علي الغساني وغيره.

قال عنه تلميذه القاضي عياض: "كان زعيم فقهاء وقته في أقطار الأندلس والمغرب، ومقدمهم الذي اعترف له الجميع بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه. كان المفزع إليه في المشكلات، بصيرًا بالأصول والفروع والفرائض، ومتقنًا للعلوم المتنوعة. كانت الدراية أغلب عليه من الرواية، وكان كثير التصنيف ومطبوعه. (صلاح الدين، (د.ن)، ص ٤٣) ألف كتابه المسمى بكتاب "البيان والتحصيل" في

شرح كتاب العتبي "المستخرج من الأسمعة"، وهو كتاب عظيم نيف على عشرين مجلدًا. كما ألف كتابه المعروف بـ"المقدمات"، وأجزاء كثيرة في فنون العلم المختلفة.

كان مطبوعًا في هذا المجال، حسن القلم والرؤية، حسن الدين، كثير الحياء، قليل الكلام، متسمتًا ونزيهًا. كان مقدمًا عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة، ومعتمدًا في العظائم أيام حياته. تولى قضاء الجماعة في قرطبة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، ثم استعفى منها سنة خمس عشرة إثر الهيج الذي حدث من العامة وأعفي. زادت مكانته جلالةً ومنزلةً، وكانت إليه الرحلة للتفقه من أقطار الأندلس مدة حياته" توفي، رحمه الله، في ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة. (السبتي، ١٩٨٢، ص ١١٨)

وأما اللغة وعلومها، فأرض الأندلس أرضها، وعلماؤها أربابها، ولا يتصدر فيهم أحد في أي علم حتى يأخذ بناصيتها، ويبرع في إتقانها، واشتهر بها خلق كثير، وفي صدرهم:

أبو محمد البطليوسي (٥٢١ هـ)

هو أبو محمد عبد الله بن محمد، بن السِّيْد، البطليوسي، النحوي، الأديب، ولد سنة ٤٤٤هـ، وبطليوس مدينة من مدن الأندلس، روى عن أبي علي الغساني، وأبي سعيد الوراق، وغيرهم، ونزل ببلنسية.

قال فيه القاضي عياض" :شيخ الأدباء في وقته، مقدم في علم النحو واللغات والآداب والشعر والبلاغة، وله شعر حسن، جيد الضبط متقنًا، وله مصنفات ملاح في شرح "أدب الكتاب"، وشعر المعري، وأسلف كتابًا كبيرًا في شرح الموطأ سماه ب"المقتبس" كثير الفائدة، وكتاب سبب اختلاف الفقهاء وغير ذلك . وتوفى في رجب الفرد في عام إحدى وعشرين وخمسمائة. (السبتي ، ١٩٨٢، ص ١٢٤)

أبو الحسن ابن الباذش النحوي (٥٢٨ هـ)

هو أبو الحسن علي بن أحمد، بن خلف، الأنصاري، المعروف بابن الباذش، والد أبي جعفر ابن الباذش المقرئ المذكور آنفا، جياني الأصل، ولد بغرناطة سنة 444هـ، أكثر عن أبي علي الغساني، وروى عن ابن رزق وغيره.

وألّف في النحو كتباً كثيرة، منها كتب على كتاب سيبويه، وكتاب المقتضب، والأصول لابن السراج، وشرح كتاب الإيضاح، كما كتب عن كتاب الجمل لأبي القاسم، وكتاب الكافي لابن النحاس. قال فيه ابن الأبار في ترجمة ابنه أبي جعفر: "كانت لأبيه أبي الحسن الإمامة في الأندلس في صنعة العربية.. ،(ابن البار، ٢٠٠٠، ص ٢٥٠).

وقال الملاحي: " أوحد زمانه إتقانا ومعرفة ومشاركة في العلوم وانفرادا بعلم العربية. وكان حسن الخطّ، كثير الكتب، ترك منها بخطه كثيرا جدا، مشاركا في الحديث، عالما بأسماء رجاله ونقلته، مع الدّين، والفضل، والزهد، والانقباض عن أهل الدنيا، وترك الملابسة لهم".

وتوفي بغرناطة، وقد نيف على الثمانين بعد مدة من ليلة الاثنين الثالثة عشرة من المحرم سنة ٥٢٨ هـ، وصلى عليه ابنه أبو جعفر عصر ذلك اليوم بالمسجد الجامع. (ابن الخطيب ، ١٤٢٤هـ، ص ١٠٤)

وأخذت الأندلس بحظ وافر من علمي التاريخ والتراجم، وكان من أرباب هذه الصناعة بعد الخمسمائة، إضافة إلى القاضي عياض:

أبو القاسم ابن بشكوال (578)هـ

هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك، بن مسعود بن، موسى، بن بشكوال، من أهل قرطبة، ولد في يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة، سنة ٥٩٤ هـ. سمع من أبيه، ومن ابن رشد، وابن العربي، وغيرهم.

قال فيه ابن الأباروكان :كان واسع الرواية، واعتناء بذلك مع العلم بما يحدث به ويرفعه ، وهم مقدم على أرباب وقته ، ومن المؤرخين والإخباريين العارفين بحوادث الأندلس في القديم والحديث."

توفي يوم الأربعاء في الثامن من شهر رمضان عام ٥٧٨ هـ في قرطبة. (ابن الخطيب ، ١٤٤٢هـ، ص ١٢٢)

أما العلوم الدنيوية مثل الفلسفة، والطب، والفلك، والحساب، وعلم الزراعة وغيرها، فقد كان للأندلس الحظ الأوفى منها. تخرج منها جلة من العلماء الذين ملأوا الدنيا بعلمهم، واستنهضت أوروبا حضارتها من قبسهم، وعلى رأس هؤلاء قبل ابن رشد الحفيد (٥٩٥ هـ).

ابن باجة (533)هـ

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن باجة الأندلسي السرقسطي، المعروف بالفيلسوف ابن الصائغ، وقد تولى الوزارة للمرابطين لمدة عشرين سنة.

قال عنه ابن أبي أصيبعة: "كان علامة وقته في العلوم الحكمية، وأوحد زمانه. تعرض لكثير من المحن والشائعات من العوام، وحاولوا هلاكه عدة مرات، ولكن الله أنجاه منهم.، وكان متميزا في العربية والأدب، حافظا للقرآن، ويعد من الأفاضل في صناعة الطب، وكان متقنا لصناعة الموسيقى، جيد اللعب بالعود".

وأرخت وفاته في سنة ٥٣٣ هـ بفاس حرسها المولى. (الشيخاني، ٢٠٠٠، ص ١٥)

أبو مروان ابن زهر (557)هـ

هو أبو مروان، عبد الملك بن زهر، بن عبد الملك، بن محمد، بن مروان، بن زهر، الإيادي، من أهل أشبيلية، كان من بيت عريق في علمه، كان جده طبيبا بارعا توفي العشرة السابعة بعد الأربعمائة، وأبوه (٥٢٥ هـ)، طبيبا حاذقا، أديبا، شاعرا، وسار ولده محمد (٥٩٥ هـ) على خطى آبائه. (الشيخاني ، ٢٠٠٠، ص ١٦)

قال فيه ابن أبي أصيبعة " :لحق بأبيه في صناعة الطب، وكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، حسن المعالجة، قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته، ولم

يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب. توفي بإشبيلية سنة ٥٥٧ هـ. (حساني، ٢٠٢٢، ص ٢١)

علم الكلام

وأما علم الكلام، فلم يكن التدريس أو التصنيف متفشياً فيه، خصوصاً في فترة حكم المرابطين للأندلس. وقد ذكر عبد الواحد المراكشي في حديثه عن عهد أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي: "ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام. وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد. في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بُغْض علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه".(ابن الخطيب ، ١٤٢٤هـ، ص ٥١٩)

وهذا لا يعني أن الأندلس كانت خلوا من علم الكلام أو المتكلمين، فقد اشتهر عدة باتقان هذا العلم، من بينهم:

أبو العباس الجذامي (بعد ٥٣٠ هـ)

هو أبو العباس أحمد بن محمد، الجذامي، يعرف بالزنقي، أخذ عن أبي على الصدفي، وابي بكر ابن سابق الصقلي المتكلم، وتجول غي بلاد الأندلس.

قال فيه أبو الفضل ابن عياض" :شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق في وقته "أي على مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله .توفي بعد الثلاثين وخمسمائة بقليل.

ولعل هذا الذي حذا بكثير من أرباب علم الكلام كأبي محمد ابن عطية، وأبي بكر ابن العربي، وابن برجان، والقاضي عياض وغيرهم كثير، أن يصنفوا في علمي التفسير وفقه الحديث؛ لأنهما مجالان للكلام على مسائل علم الكلام. (الأندلسي ، ١٩٩٥، ص ٦٨٥)

والغريب أن عبد الواحد المراكشي، وتبعه في ذلك الحافظ الذهبي، ذكرا أنه لم يكن في ولاية علي بن يوسف اهتمام بالنظر في كتاب الله وحديث المصطفى، حيث قال: "ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِم علم الفروع، أعني: فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها. وكثر ذلك حتى نُسي النظر في كتاب الله، وحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء." (قَايْماز الذهبي،، ١٩٨٥، ص ٢٦٣)

وهذه الدعوى منقوضة بكثرة المصنفين والمهتمين في التفسير وفقه الحديث في تلك الفترة. فقد كان أبرز أهل الأندلس مثل ابن عطية وابن العربي، ممن تولوا القضاء في عهد علي بن يوسف، لهم اليد الطولى في هذين العلمين، وكتبهم شاهدة على ذلك. كما أن فترة المرابطين كانت امتداداً لفترة ملوك الطوائف

والخلافة الأموية في الأندلس، من حيث طبيعة الحركة العلمية. ولم يستمر حكمهم سوى حوالي ستين سنة في الأندلس، حيث انشغلوا في الثلث الأخير بمواجهة الثورات في الأندلس وثورة الموحدين في العدوة الجنوبية. ولا يكفي مثل هذا الزمن القصير لإحداث تغيير كبير في طبيعة الحركة العلمية" .(الذهبي، ١٩٨٥، ص ٢٦٩).

وأما التصوف وعلمه، فكان حاله في زمن الملثمين بالأندلس كحال علم الكلام، غير مرغوب فيه، ومضيقا على أهله، وكان علي بن يوسف يأمر بإحراق كتاب" إحياء علوم الدين "للغزالي، وكتبه أخرى، كما توعد المشتغلين بها، وأمر بسجن عَلَميْ التصوفي في الأندلس في هذه الفترة فتوفي ابن برجان المذكر آنفا في سجن مراكش وأما الآخر فقضى نحبه قبل لقاء الأمير، ودفن بمراكش أيضا، وهو:

أبو العباس ابن العريف (٥٣٦ هـ)

هو أبو العباس، أحمد بن محمد، بن موسى، بن عطاء الله الصنهاجي، من أهل المرية، ولد سنة ٤٨١ هـ، أخذ عن ابن رزق، المعروف بابن الفصيح، وروى عن أبي علي الصفدي.

قال فيه الضبي" :فقيه، زاهد، إمام في الزهد، عارف محقق".. (أبي جعفر الضبي، ١٩٦٧، ص ٣٥٧)

وقال الذهبي" :ولد ابن العريف في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة[٢]، وكان العباد يأتونه ويجتمعون لسماع كلامه في العرفان، وبعد صيته، فثار الحسد في نفوس فقهاء بلده، فرفعوا إلى السلطان أنه يروم الثورة والخروج كما فعل ابن تومرت، فأرسل ابن تاشفين إليه وقيده، وحمل إلى مراكش، فتوفي في الطريق عند مدينة سلا ." (تاريخ الاسلام ، ١١/ ٦٤٨)وكانت وفاته في سنة ٥٣٦ هـ.

من هذه الينابيع الثرة، ينابيع الأندلس، لا يزال أهل العلم وطلبته في كل وقت وحين ينهلون من معينها في شتى صنوف علوم القرآن، من تفسير، وقراءات، وناسخ ومنسوخ وغيرها، ومن الحديث وعلومه، ومن علوم اللغة. ." (قَايْماز الذهبي،، ١٩٨٥، ص ٢٧٧)

الخاتمة:

شهد العصر الذهبي للإسلام تطورًا هائلًا في مختلف العلوم، بفضل الجهود الجبارة التي بذلها العلماء والمراكز العلمية. كانت الأندلس، بجغرافيتها المتميزة وتنوعها الثقافي، إحدى أبرز البؤر التي ازدهرت فيها العلوم الإسلامية. تألقت الأندلس بمراكزها العلمية المتعددة، والتي لعبت دورًا حيويًا في نقل المعرفة من الحضارات القديمة وتطويرها، مما أسهم بشكل كبير في تحقيق نهضة علمية وثقافية شاملة.

[٢] قال الذهبي في السير (١١٢/٢٠): ""قلت في (تاريخي): إن مولد ابن العريف في سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، ولا يصح.

النتائج:

١. تنوع العلوم: تطورت العلوم الإسلامية في الأندلس بشكل شامل، شملت العلوم الفلكية والرياضية والطبية والفلسفية والأدب والجغرافيا. ساهمت المكتبات الكبرى، مثل مكتبة قرطبة، في تجميع وترجمة ونشر المعرفة.

٢. دور العلماء: لعب العلماء الأندلسيون دورًا بارزًا في تطوير ونقل المعرفة. أسماء مثل ابن رشد، ابن زهر، والزرقالي تعد من بين الأعلام الذين قدموا إسهامات جليلة في مجالاتهم، وتركوا آثارًا لا تزال مؤثرة حتى اليوم.

٣. المراكز العلمية: كانت هناك العديد من المراكز العلمية الرائدة في الأندلس، مثل جامعات قرطبة وإشبيلية وغرناطة. هذه المراكز لم تكن مجرد مؤسسات تعليمية، بل كانت مراكز للبحث العلمي والابتكار، ووفرت بيئة محفزة للعلماء والطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي والأوروبي.

٤. التأثير العالمي: امتد تأثير النهضة العلمية في الأندلس إلى أوروبا، حيث لعبت الترجمات اللاتينية للأعمال الأندلسية دورًا محوريًا في النهضة الأوروبية. كانت الأندلس جسرًا لنقل المعرفة الإسلامية إلى الغرب، مما ساهم في تشكيل أساس النهضة الأوروبية.

٥. التفاعل الثقافي: شهدت الأندلس تفاعلًا ثقافيًا فريدًا بين المسلمين والمسيحيين واليهود، مما خلق بيئة غنية بالتنوع الفكري والتعاون العلمي. هذا التفاعل ساعد في تعزيز الابتكار والإبداع في مختلف المجالات العلمية.

المراجع باللغة الأجنبية.

١. Ibn al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Saeed al-Salmani, Al-Ihata fi Akhbar Granada, 1424, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition.

٢. Al-Adnawi, Ahmad ibn Muhammad, (1997), Tabaqat al-Mufassirin, edited by Sulayman ibn Salih al-Khuzai, Maktabat al-Ulum wa al-Hikam - Saudi Arabia, first edition.

٣. Ismail, Badawi Muhammad, (2021), Contributions of Muslim Sciences to the Advancement of Human Sciences, International Journal of Humanities and Language Research, Volume 4, Issue 2.

٤. Al-Andalusi, by Abu al-Hasan Ali ibn Musa ibn Saeed al-Maghribi, (1955), Morocco in the Ornaments of Morocco, edited by Shawqi Dayf, publisher: Dar al-Maarif - Cairo, third edition.

5. Iman Farhan Ahmad; Hamad Mahmoud Muhammad, 2024, "The Persian Poetic Topics of the Poets of the Second Pre-Islamic Class in the Book of Ibn Salam al-Jumahi", Tikrit University.

٦. Babin Asakir, Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hassan bin Hibat Allah Al-Ma'rouf (d. 571 AH), History of Damascus, edited by: Amr bin Ghramah Al-Amroui, publisher: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution.

٧. Al-Baghdadi, Shams Al-Din Abu Al-Muzaffar Youssef, (1990), Mirror of Time in the History of Notables, edited by: Janan Jalil Muhammad Al-Hammondi, publisher: National House for Publishing and Distribution.

٨. Jabbar Ahmed, (2021), Arabic Sciences in Their Golden Age, translated from French by Muhammad Naim, first edition.

٩. Hajjar Hisham, Qaman Kamal, (2023), Manifestations of Interest in Rational Sciences in Andalusia during the Era of the Umayyad Caliphate and the Taifa Kings (4th and 5th centuries AH) through the book “Tabaqat Al-Umam” by Ibn Saed Al-Andalusi (d. 462 AH), Journal of Scientific Research and Studies, Volume 17, Issue 1.

١٠. Khaled Hamou Hassani, 2022, Educational centers and their role in the advancement of the intellectual movement in Iraqi society, Tikrit University Journal for Humanities, Tikrit University - College of Education for Humanities,

11. Riyadh Salem Awad Al-Jubouri, 2013, The civilizational heritage of Damascus in the sixth and seventh centuries AH through the book (The Student in the History of Schools)

by Al-Naimi (d. 927 AH / 1520 AD), Tikrit University - College of Education - Department of History.

.١٢Al-Sabti, Ayyadh bin Musa bin Ayyadh bin Amrun Al-Yahsabi, (1982), The Book of Al-Ghaniya in the Sheikhs of Judge Ayyadh, Investigator: Maher Zuhair Jarar, Publisher: Dar Al-Gharb Al-Islami, Edition: First.

.١٣Al-Sulaymani, Yahya bin Hamza Al-Waznah, The Impact of Andalusian Civilization in Administration on Morocco in the Eras of the Almoravids and Almohads, 1986, Egyptian Historian Magazine, History Department, Cairo University.

.١٤Al-Suyuti, by Jalal Al-Din Abdul Rahman, Year of Birth 849 AH/Year of Death 911 AH, The Desire of the Aware in the Classes of Linguists and Grammarians, Investigation by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriya Library, Lebanon/Sidon.

.١٥Al-Shaikhani, Tariq bin Muhammad, The Scientific Movement in Andalusia in the Sixth Century AH: Reasons for its Prosperity and its Notable Figures, Al-Alawka Al-Shari'a (2022..(

.١٦Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil, (2000) - Al-Wafi bil-Wafiyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath - Beirut.

.١٧Al-Dhabi, Abu Jaafar (died: 599 AH, 1967 AD, Bughyat al-Multamis fi Tarikh Rijal Ahl al-Andalus, publisher: Dar al-Kateb al-Arabi - Cairo - Egypt.

.١٨Abdul Hadi, Fathia Muhammad, (1993), Features of the Golden Age of Arab Civilization, Education Magazine, Issue 105, Vol. 22.

.١٩Al-Asqalani, by Abu al-Fadl Ahmad bin Ali bin Hajar, Lisan al-Mizan, (2002), Investigation: Abdul Fattah Abu Ghuddah, Dar al-Bashair al-Islamiyyah, Edition: First.

.٢٠Ghanima, Abdul Fattah Mustafa al-Sayyid, (1999), The Abbasid Era is the Golden Age of Islam for Culture and the Blending of Heavenly Religions, Journal of Research of the Faculty of Arts, Menoufia University, Issue Thirty-Nine.

21. Faizi, Abdul Karim, (2015), Education in Andalusia and its Role in the Prosperity of Civilization - Al-Hikma Journal for Islamic Studies, Vol.2, No.2.

.٢٢Al-Fayruz Badi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Yaqub, (2000), Al-Balagha fi Tarajim A'imam al-Nahw wa al-Lugha, Publisher: Dar Sa'd al-Din for Printing, Publishing and Distribution, Edition: First.

.٢٣Qaymaz al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Othman, Biographies of the Nobles, Investigation: A group of investigators under the supervision of Sheikh Shu'ayb al-Arna'ut, Al-Risalah Foundation, Edition: Third, 1405 AH / 1985 AD.

.٢٤Ibn al-Abbar, Abu Ali al-Sadfi, Dictionary of the Judge's Companions, Publisher: Maktabat al-Thaqafa al-Diniyah - Egypt, Edition: First, 1420 AH - 2000 AD.

.٢٥Morsi, Muhammad Munir, (2005), Islamic Education, Its Origins and Development in the Arab Countries, Alam al-Kutub Edition: Expanded and Revised Edition.

.٢٦Al-Maqri, Nafakh Al-Tayyib Min Ghusn Al-Andalus Al-Ratib, (1968), Dar Sadir, Vol. 1, Beirut.

27. Najdi, Buwadeh, (2016), Mathematics and Astronomy in Andalusia in the Era of the Caliphate until the Fall of the Almoravids, Matun Magazine, Issue 2, Volume 9.